
كل الرسل
في الكتاب المقدس
www.christianlib.com
بقلم
هربرت لوكير
دار الثقافة

يهوذا الإسخريوطي
الرسول الذي قتل نفسه

القصة المؤلمة ليهوذا واحدة من أكثر القصص مأساوية وغموضاً في الكتاب المقدس، وهي تحتوي على ملامح لا نستطيع تفسيرها. يأتي اسم يهوذا دائماً في ذيل قائمة الاثنى عشر، وقد أصبح أكثر شهرة عن بقية الرسل بسبب فعلته الشنعاء. كان من الأفضل لهذا الخائن أن يظل في طي الكتمان دون أن يعرف عنه أحد شيئاً. قال عنه يسوع أسوأ ما يمكن أن يقال عن أي إنسان، «كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد». وظل العالم يردد هذه العبارة لما يزيد عن عشرين قرناً من الزمان عن الذين بعد أن ولدوا دمروا حياتهم. إن يهوذا الإسخريوطي وبيلاطس البنطي يوضعان جنباً إلى جنب كموضوعين لاحتقار العالم وكرجلين حقيرين اكتسبا لنفسيهما خزياً أبدياً. بالطبع، يحمل اسم يهوذا الوضيع ذنباً أثقل من ذنب الحاكم الروماني الذي كان يؤمن ببراءة الشخص الذي تمت خيانته.

لقد اعتُبرت خيانة يهوذا أقذر عمل ارتكب على مرالعصور. لقد وصف الفنانون يهوذا كموضوع للتخطيط لأحط النزعات الجهنمية، وذكر الشعراء كل أهوال الخيال لتمثيل خبثه الأسود وعدم امتنانه المؤسف. إن الأطفال الذين قورئت لهم قصة يهوذا يرتجفون رعباً لمجرد التفكير في جريمته وبسبب الشعور بالاشمئزاز من جريمته. قد أصبح اسمه كناية عن الخيانة والخديعة. ولا يمكن لأم أن تسمى ابنها باسم يهوذا، تماماً كما أنها تكره أن تسمي ابنتها إيزابل. يقول تشارلس ستانفورد: «من بين كل الأشباح التي تقلق مضجع الشاعر دائماً في خياله، أو النائم التقى في أحلامه، أو تجمد الدم في عروق الرائي، ليس هناك بلاشك شبح مرعب كشبح يهوذا». هناك أربعون



عدداً في العهد الجديد تحمل إشارة لتسليم ربنا في العهد الجديد، وفي كل منها نجد تسجيلاً لخطية يهوذا المتسمة بالغدر. يقدم لنا كاتب موهوب من القرن الماضي في تصوير رائع لانحطاط الشخصية، وصفاً قد ينطبق على الدور الذي قام به يهوذا:

«الخائن يجب أن يكون له وجه لا تترك عليه الرذيلة أي آثار، وشفتان تكذب مع ابتسامة جذابة، وعينان ذات بريق آخاذ وقلب لا يؤثر عليه الفعل الشائن، ووجنتان متوردتان بعد ارتكاب الجريمة ولا تبدوان مهزولتين أو غائرتين».

عندما تقرأ الأناجيل يبدو أن بقية الرسل لم يشكوا في يهوذا حتى اللحظة الأخيرة ولم تخطر فكرة الخيانة ببالهم قط حتى تم ارتكاب العمل المشين. ولكن بعد الخيانة، فهموا

أن العمل القذر الذي ارتكبه يهوذا كان مخططاً ومتعمداً. ولذا فإن اسم يهوذا مستهجن على نطاق العالم بأسره حتى أنه لا توجد عائلة في العالم المتحضر بأسره تفكر في تخليد ذكراه. في رحلة دانتي إلى الجحيم يصور يهوذا بأنه يشغل أسفل دائرة مع الشيطان، وهو يتجرع «أسوأ عقاب» مستحق، ملعوناً ومتجنباً حتى في كهوف الملعونين.

إن بقية الاثنى عشر الذين اختارهم يسوع كانوا، على الرغم من عثراتهم، مكللين بمجد ليس منهم، باستثناء يهوذا الإسخريوطي الذي باع صديقه، وحبيبه، ومعلمه، وسيده من أجل حفنة قليلة من الفضة. وبمثل هذا الفعل الشيطاني أبعد نفسه عن «جماعة الرسل المجيدة» وأغرق نفسه في هاوية لا قرار لها من السخرية والاشمئزاز، واستبدل موضع الكرامة الذي كان يمكن أن يكسبه بقبر مهلكٍ وإدانة مريعة وسمعة سيئة. لقد باع ربه عامداً متعمداً، متسبباً بذلك، في موته المريع على الصليب. وبعد أن أنبه ضميره، مضى وخنق نفسه على شجرة. دعنا الآن نحاول أن نقدم الحقائق، كما هي مقدمة في الكتاب المقدس، فيما يتعلق بهذا الخائن من بين الاثنى عشر.

١- كان من قريوت

الاسم المعطي لخائن يسوع كان يهوذا، والاسم الثاني وهو الإسخريوطي، مشتق من كلمة يونانية تعني «رجل من قريوت» المدينة التي ولد فيها، وقد أعطي هذا الاسم المزدوج لأبيه، سمعان الإسخريوطي (يو ٦:٧١، ١٣:٢، ٢٦ R.V).

ربما أضيفت كلمة الإسخريوطي ليهوذا، لتمييزه عن ستة أشخاص آخرين يحملون نفس هذا الاسم الشائع في ذلك الوقت. يفضل شكسبير أن يدعو يهوذا «اليهودي الوضيع الذي باع لؤلؤة أثمن من كل أفراد سبطه».

قريوت أو نريوت المدينة التي جاء منها يهوذا، قد زالت من الوجود. وقد كان هو التلميذ الوحيد في زمرة الجليليين الذي كان يمثل هذه المنطقة حول أورشليم، وعلى هذا الأساس لم يكن منسجماً تماماً مع الباقين. من الناحية التقليدية، كانت أورشليم تحتقر الجليل، ولكن يهوذا كان يحتقر الرأي العام للجنوب وقد انضم إلى القائد الشمالي الذي كان الناس يجتمعون من حوله من كل ناحية. لم يكن الجليليون يعتبرون يهوداً خالصين من قبل إخوتهم من الجنوب (يو ٧:٥٢).

قريوت Kerioth هي نفس كلمة Kirjath، «قرية» وهي تعني مدينة، كما في قرية يعاريم، ولكن الاسم كان يطلق على مدينتين. إحداهما في موآب (عا ٢:٢)، والأخرى في يهوذا، على الحدود الجنوبية الشرقية الغربية من أدوم (يش ١٥:٢٥). وهناك إجماع في الآراء بأن يهوذا كان من قريوت التي كانت تقع في يهوذا. لقد جاء جميع الرسل الآخرون من الجليل، في أقصى الشمال من فلسطين.

٢- كان تلميذاً

بما أن أول إشارة في الكتاب المقدس إلى يهوذا تتحدث عن اختياره، ليكون رسولاً (مت ١٠:٤، مر ٣:١٩، لو٦:١٦)، لذا لا نعرف متى وكيف أصبح تلميذاً ليسوع. ومن المرجح أنه كان حاضراً أثناء خدمة يوحنا المعمدان في بيت عبرة في عبر الأردن (يو ١:٢٨). أو ربما التقى بيسوع أثناء عودته مروراً باليهودية مع تلاميذه (يو ٣:٢٢). ربما كان ضمن أولئك الذين تلقوا الدعوة عند بحيرة طبرية (مت ٤:١٨-٢٢). وعلى الرغم من التركيز على الظروف التي أحاطت بدعوة بعض الرسل (مثل ما حدث مع متى عند مكان الجباية)، إلا أن الصمت يلقي بظلاله فيما يتعلق بأول لقاء بين يهوذا ويسوع. وحيث أن التلمذة لابد أن تسبق الرسولية، فلابد من توفر بعض الصفات والقدرات التي عرفها يسوع في يهوذا. ربما كان إعجاب يهوذا

بالمعلم الجديد ومحاكاته له هو السبب في دعوة يسوع له ليكون تلميذاً.

فإذا كانت شخصية يهوذا مشوبة بالنقص بصورة لافتة للنظر على الجانب العاطفي، فإن ذلك يفسر التحفظ الذي كان يميز سلوكه أثناء تواجده مع يسوع. وعندما انضم إليه. فقد فعل ذلك من منطلق أن يسوع كان قائداً وطنياً أو سياسياً بأكثر من كونه صديقاً شخصياً، وكان عقله يفسر كلمات وأقوال المسيح من خلال توقعاته الخاصة. ولما كان يهوذا عنيداً ومغروراً، لم يتحمل فكرة أن يكون مخطئاً فيما يتعلق بفكرته الأولى التي كوَّنها عن الملك الجديد. لقد وجد التلاميذ الآخرون معلماً أيقظ فيهم الإعجاب وغرس فيهم المحبة له، ولكن بالنسبة ليهوذا كان الأمر مختلفاً لقد كان الطموح السياسي، وحب المركز والسلطة، واحتمال إعلان الملكوت دوافعه الرئيسية للانضمام إلى أولئك الذين كانوا يتبعون الملك.

ونحن نميل للاعتقاد بأنه في وقت اختيار يهوذا أن يتبع يسوع، لم يكن مرائياً عامداً أو متعمداً، وأن الحمية والحماس اللذين أظهرهما لم يكونا زائفين، فقد كان مخلصاً في تلميذته الأولية، حيث كانت لديه رغبة مخلصة في اتباع المسيح. ولكن الحقيقة تبقى أنه بالرغم من أنه قد يكون مخلصاً، إلا أنه لم يكن موحد القلب في قراره، إذ لم يترك كل شيء ليتبع يسوع، ولكنه قدم ليسوع ولاءً مزدوجاً. كانت محبة المال في قلبه منذ نعومة أظفاره، ولذلك فقد كان رجلاً ذي رأيين. فلو كان قد اتبع المعلم تماماً لكانت حياته من *أقدس ما* تكون الحياة ولكان مصيره أكثر بركة من الجميع، **ولكنه** أخذ خطيته معه في خدمة المسيح حتى أصبح داره في **النهاية** خراباً وأخذ وظيفته آخر (أع ١:٢٠).

٣- كان رسولاً

كما ذكرنا سابقاً، لا شيء، يقال عن دعوة يهوذا: أين حدثت، أو متى، وما هي الملابسات المتعلقة بها. يأتي أول ذكر لاسمه، عندما اختار يسوع الاثنى عشر بعد ليلة قضاها في الصلاة، وأدرج يهوذا بينهم، وفي كل قائمة يأتي اسمه في ذيل القائمة - ولا عجب في ذلك! اختير يهوذا مع بقية الرسل ليتعلم من المسيح ويعمل لأجله. فقد كان على الرسول أن يكون قد رأى يسوع وسمعه، وأصبح رفيقاً له. ولاشك أن يهوذا قد تزود بالقوة مع بقية الرسل ليكرز، ويشفي الأمراض، ويخرج الشياطين (مر ٣:١٤-١٩). وهكذا، فعلى الرغم من غياب النعمة العميقة في قلبه إلا أنه استخدم كأداة لتنمية عمل النعمة في قلوب الآخرين. وإن المرء ليتساءل عما فكر فيه يهوذا حين أعلن يسوع عن أولئك الذين يخرجون الشياطين باسمه، ولكنه يضطر أن يقول لهم «إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم» (مت ٧:٢٣).

وكيهودي خالص ينحدر من سبط يهوذا، وجد يهوذا نفسه لوحده تقريباً في دائرة الاثنى عشر، ولكنه كان غيوراً بلاشك كالباقين في دعم وامتداد رسالة المسيا. وكشخص مقرب له، كان يهوذا ينظر كثيراً إلى وجهه الرائع ولابد أن وجهه قد أحمر خجلاً عندما كان يفكر في الخطية التي كانت تسمم روحه. فلو أتيح لإنسان الفرصة ليكون قديساً، لا نطبق ذلك على يهوذا، الذي عاش لما يزيد عن عامين مع أقدس إنسان على الأرض، فليس صحيحاً دائماً أن ما يؤول إليه الإنسان يعتمد إلى حد كبير على البيئة المحيطة به فلو كان الأمر هكذا في حياة يهوذا، لاستطاعت السنوات التي قضاها في علاقة حميمة مع الإنسان الكامل الذي مشى على تراب هذه الأرض، أن تلهم يهوذا لينمو يومياً بصورة أفضل وأنبل وأقدس. ولكن الشيطان دخل حتى إلى قلب رسول، مما يثبت أنه حتى أكثر الامتيازات الدينية المشتهاة عاجزة عن إنقاذ الإنسان. يخبرنا بنيان

في العبارة الأخيرة في «حلمه» أنه رأى طريقاً إلى جهنم مبتدئاً من أبواب السماء.

كم كانت ضربة قاصمة للمسيح كان يصعب تحملها حين أتته الخيانة، لا من عدو علني، بل من شخص اختاره ليكون رسولاً وقد استمتع بصداقته الحميمة مدة طويلة! ليس من الصعب أن نرى نبوة عن يهوذا في الصورة التي رسمها داود عن صديق خادع:

«لأنه ليس عدو يعيرني فأحتمل. ليس مبغضي تعظم عليَّ فأختبيء منه، بل أنت إنسان عديلي إلفي وصديقي الذي معه كانت تحلو لنا العشرة. إلى بيت الله كنا نذهب في الجمهور. ليبغتهم الموت لينحدروا إلى الهاوية» (مز ٥٥:١٢-١٥).

لقد مضى يهوذا الرسول وواحد من معارف المسيح إلى الظلمة (مز ٨٨:١٨)، ويظل السر قائماً، لماذا اختاره المسيح كرسول؟ هل كان يعتقد أن يهوذا شخص مختلف عما ظهر عليه بعد ذلك؟ ألم يكن مدركاً لشخصيته؟ وهل خدع فيه كما حدث بالنسبة لبقية الرسل؟ في البداية، دعنا نقول إننا نرفض تماماً الاقتراح المقدم من الأستاذ أ.ب بروس أن «الإسخريوطي قد اختير لمجرد أن يكون خائناً، كما يختار الممثل ليلعب دوراً ما» فمثل هذه النظرية التي يستحيل تصديقها مضادة تماماً لطبيعة المسيح الخالية من الغش والخداع، ولهدفه من اختيار الاثنى عشر، فالتأكيد بأن يسوع اختار يهوذا ليكون خائناً يعني جعل المسيح مسئولاً عن خيانة الرسول له - وهو عمل يعفي يهوذا من كل لائمة.

ما تعلنه الأسفار المقدسة أن يسوع، كالعليم بكل شيء، علم ما كان في الإنسان، ولذلك «من البدء علم... من هو الذي يسلمه» أي أنه منذ اللحظة التي رأى فيها يسوع يهوذا وقرر أن يضم اسمه إلى قائمة الرسل» (يو ٢:٢٤، ٢٥، ٦:٦٤). ولكن نظراً لسابق علم المسيح بكل ما سوف يحدث، لماذا اختار يسوع يهوذا لخدمته بعد الصلاة وعن عمد، ولماذا ائتمنه على كل تعاليمه وأسراره، بل وأرسله مع الرسل المختارين الآخرين ليبشر، ويشفي المرضى، ويخرج الشياطين؟ الإجابات على مثل هذه الأسئلة ليست سهلة، لأنه مهما كانت التفسيرات المقدمة فسوف نجد أنفسنا نواجه «المشكلات المستعصية على الحل والمتعلقة بأصل الشر وعلم الله بكل شيء، بالإضافة إلى حرية الإرادة البشرية».

ولكن ما نعلمه، أن يسوع قد قام باختياره:

لأن ذلك كان يتم بحسب مشيئته السامية أن يفعل هكذا، «كل ما شاء الرب صنع في السموات وفي الأرض» (مز ١٣٥:٦).

ولأنه كان لابد من إتمام نبوات العهد القديم فيما يتعلق بكل جانب من جوانب حياته ورسالته. ولفضح خيانة يهوذا. اقتبس يسوع الآيات التي تنبيء بذلك (مز ٤١:٩، ٦٩:٢٥، يو ١٧:١٢، أع ١:٢٠). ولأن الله يعلم النهاية من البداية فقد استطاع أن يُسجل ما سوف يفعله يهوذا، قبل ميلاده بعدة قرون، إذن، فكل النبوات المتعلقة بالخائن تثبت بعد نظر السجل المقدس.

ولأن خيانة يهوذا تظهر أن الارتباط مع الأتقياء - وحتى مع المسيح، الذي لم يعرف خطية - ممكن، دون أن يكون هناك تجديد كحقيقة اختبارية. فالمرء يمكنه أن يكون في خدمة المسيح دون أن يختبره في القلب كمخلص ورب. كان ينقص يهوذا الشيء الضروري. كان ينقصه الإيمان والمحبة.

ولأن المال الذي سعى يهوذا لاقتنائه من وراء تلك الفعلة الشنعاء يظهر أن «محبة المال أصل لكل الشرور». وسوف يظل يهوذا شاهداً على لعنة المال وأنه شرك مريع، وكيف

أنه يمكن أن يغرق الناس في العطب والهلاك.

ولأن يسوع أراد أن يعلن احتماله المذهل وطول أناته، فهو لم يفضح يهوذا عندما لاحظ تدهوره الأخلاقي المتدرج، بل تركه للوقت الذي يكشف فيه عن شخصيته الحقيقية. كم استطاع يسوع أن يكبح جماح غضبه في الليلة التي خانه فيها، عندما رفع آكل الخبز معه عقبه عليه! ألم يكن التناقض صارخاً في تلك المناسبة بين الخائن وبين من ارتكبت الخيانة ضده؟

ولأن الحزن الفريد الذي اختبره ربنا نتيجة لاختياره ليهوذا كان ضرورياً لاكتمال أهليته كرئيس كهنة على بيت الله. فقد كان مجرباً في كل شيء مثلنا، ولكنه أصبح كاملاً من خلال آلامه (عب ٢:١٠، ١٧، ١٨).

وبالإضافة إلى التفسيرات المحتملة السابقة لمشكلة اختيار يهوذا، يمكننا أن نقول إنه على الرغم أن يسوع رأى فيه ميولاً شريرة مؤكدة يمكن أن تتطور، إلا أنه رأى أنه يمتلك صفات أخرى جيدة يمكن عن طريق تعليمه وتأثيره أن تتغلب على الميول الوضيعة. كان يسوع ملماً بالصراع الذي يدور في قلب هذا الرجل بين النور والظلام، وصلى له وكان يرجو أن يتغلب الجانب الخير في يهوذا، ولكنه يأس منه قائلاً له: «ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة» (يو ١٣:٢٧). لقد اتحد الطمع مع دوافع أخرى، وجر يهوذا إلى القيام بفعلته الشاذة الجهنمية حقاً، مما أكسبه إلى الأبد ذلك اللقب السيء السمعة والمكتوب على جبينه «يهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه».

بذلت جهود للدفاع عن يهوذا، والتقليل من خطورة جريمته، بل وتحسين صورته، يحاول بليس Pleas، أن يدافع عنه ويجعلنا نعتقد أن صورته ليست بهذا السوء الذي رسمت به، وأنه أخطأ بدافع عدم التمييز بأكثر منه بدافع النوايا الإجرامية. ويقترح توما الأكويني Thomas De Quincey، على سبيل المثال، أن هدفه لم يكن تسليم المسيح ليد أعدائه، بل إجباره على استخدام قوته المعجزية ضدهم، أو أن يجبر يسوع على اللجوء إلى القوة لتأسيس ملكوته. وعندما فشل في إجبار المعلم على اتخاذ أي عمل، دهش يهوذا وصدم، ولأن حساباته قد فشلت، مضى وقتل نفسه. لو كانت هناك أي حقيقة في مثل هذا الدفاع، لكان يهوذا أول مسيحي من أردأ الأنواع لأنه اعتقد أن الغاية تبرر أسوأ الوسائل السيئة السمعة واللا أخلاقية.

ولكن أي حجة لتبرير ساحة يهوذا تبطلها حقيقة أنه عندما تآمر لبيع يسوع بثلاثين من الفضة، تحدث يسوع عنه «كابن الهلاك» وسمح له بأن يموت بيده هو، وينتقل إلى الظلام الدامس إلى الأبد. لو كان يهوذا أحب يسوع، لكانت محبة المال خنقت هذا الحب، وأصل المرارة تملكته، لأن هناك أثر للحقد ورائحة الانتقام في فعلته الأخيرة من أفعال الخيانة والغدر. ولكوننا منهمكين في مشكلة سبب اختيار يسوع ليهوذا، دعنا لا نكف عن النظر لأنفسنا ونتأمل في مشكلة مشابهة تتعلق بالسبب في دعوتنا نحن لخدمته. ما الذي رآه فيك، وفي، مما جعله يسكب فيض محبته علينا؟ ألا تتوقف ذات مرة لتسأل عن السبب الذي جعل المسيح، في حبه الذي لا مثيل له، يدخلك إلى الشركة معه؟ نعم، وإذ تدرك الخطية الموروثة الساكنة فيك، ألا تشعر بالحاجة للاهتمام الدائم بالتحذيرات الجادة؟ «من يظن أنه قائم فينظر أن لا يسقط» (١كو ١٠:١٢، عب ١٢:١٥).

٤- كان أمين الصندوق

كان يهوذا موضع الثقة كالحامل لأموال جماعة الرسل. لم يكن حالماً كيوحنا أو مندفعاً كبطرس، ولكنه كان يمتلك مواهب اقتصادية، واستعداداً لتصريف الشئون المالية، وحب المساومة وهي صفات ترتبط غالباً بمحبة المال. كانت

النساء الثريات يتبرعن لخدمة المسيح وتلاميذه (لو ٨:٣). وقد عُيِّن يهوذا أميناً للصندوق ومشرفاً على ذلك الدعم المالي. ونفس حقيقة أنه قد أنيط به هذه المسئولية تثبت أن الرسل الآخرين كانوا يثقون في أمانته، وقد ظلت هذه الثقة ثابتة حتى الليلة التي أسلم فيها يسوع للأعداء. كان يحمل الصندوق وهذا منصب دنيوي يتطلب رجل أعمال ماهر. ولا يستدعي بالضرورة أن يكون قديساً، وبهذه المقدرة في هذا الاتجاه، ربما كان يهوذا يغذي طموحاً سرياً ليصبح «وزير للخزانة» في الملكوت الجديد، الذي كان يعظ عنه معلمه.

ولكن المأساة أنه استفاد من هذا المركز وكما يخبرنا يوحنا بوضوح «لأنه كان سارقاً وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقي فيه» (يو ١٢:٦). ياله من عمل دنيء! لاشك أن الضمير – وهو مشتكي لا يصمت أبداً – سبق أن حذره من الجشع وحب اكتناز المال، وأن ما ظنه مخفياً عن الأعين كان معروفاً لمعلمه الذي كان يقرأ الأفكار وكان يعلم ما في الإنسان، هل يمكن أن يكون الطمع والشك اللذين رآهما المسيح يعملان وينموان في يهوذا هما السبب الذي حفزه للإدلاء بكلمات التحذير عن اشتهاء ما للغير، وكيف أن كل خفي سوف يعلن في النور يوماً ما؟ لقد جعل الطمع من يهوذا لصاً، وفي النهاية، خائناً، مرتكباً أفظع جريمة في التاريخ انتهت به إلى الموت.

من الملامح المؤثرة لعلاقة يسوع بيهوذا الطريقة التي كان يحذره بها مراراً وتكراراً، بطريقة مباشرة وغير مباشرة، من الخطر الذي كان يواجهه. إن يهوذا لم يندفع بجهل وهو مغمض العينين نحو مصيره المريع. لقد كانت تدوي في تعليم ربنا المستمر عن محبة المال وتأثيره على الشخصية نغمة التحذير مراراً وتكراراً وسمع يهوذا هذا التعليم كثيراً، ونظراً لاهتمامه البالغ بنفس يهوذا، ردد على مسامعه هذا القول «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال». ألا تعتقد أنه كان ينظر إلى يهوذا عندما قال: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» ألم يكن لفائدته أن يذكر يسوع مثل الغني الغبي ومخازنه التي امتلأت بالغلال عن آخرها، ولكنه بالرغم من كل ما كسبه، كانت نفسه غير مستعدة حين واتته المنية فجأة.

في قصة غسل أرجل التلاميذ بما فيها من دروس عن التواضع (يو ١٣:١–٢٠)، قدم يسوع إشارات تمهيدية لحقيقة وجود خائن في وسط الاثنى عشر، وألمح إلى أنهم ليسوا كلهم طاهرين، مشيراً بذلك إلى أنه كان يوجد واحد منهم كان يعلم ولكنه لا يعمل «لأنه عرف مسلمه» (يو ١٣:١٠، ١١،١٨). عندما انتهى يسوع من خدمة المحبة وشرح سبب القيام بها، تقدم في الحال لتولي المهمة الثقيلة بالإعلان عن تسليمه. لابد أن روحه اضطربت بسبب التفكير في المهمة الأليمة، ولابد أن قشعريرة سرت في جسده في مواجهة الشر الشيطاني. وفي أثناء تناول العشاء، حدد شخصاً معيناً بقوله إن مسلمه هو الشخص الذي سوف يعطيه اللقمة بعد أن يغمسها في الطبق.

وحتى قرب النهاية عندما قال يسوع «ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة» (يو ١٣:٢٧)، كان ذلك أبعد ما يكون عن إصدار أمر ليهوذا ليذهب وينهي عمله الجبان، بل تحذيراً مريعاً، وإعلاناً ليهوذا عن سابق علم المسيح بشره واستعداده له. ولذلك فقد افترض بعضهم بناء على حسابات غريبة أن هذا القول كان من المفروض أن يثني يهوذا عن تنفيذ غرضه المهلك. ولكن كل التحذيرات ذهبت أدراج الرياح وخرج «يهوذا» للوقت من زمرة الرسل كعضو غير جدير بأن يكون رسولاً. ما يدهش كان انضمامه إلى الرسل. نأتي الآن إلى تصنيف الإشارات ليهوذا في الأناجيل وسفر أعمال الرسل، لعمل نسق لخلفية جريمته البشعة، يبدو أن هناك ثلاثة ملامح رئيسية في مأساة

شخص كان عضواً في الدائرة المقربة من المسيح.

٥- الصفقة التي تم التخطيط لها

على الرغم من وجود ظروف غيرت يهوذا من خائن محتمل إلى خائن فعلي، إلا أنه كان خائناً في قلبه منذ البداية. فالسرقة الضئيلة من المال القليل الذي كان في صندوق الرسل كان علامة أكيدة على نفس دنيئة وخسيسة. وفي حين أن الأناجيل لا تفسر بل تسجل فقط شر يهوذا، إلا أنه من السهل أن نتعرف على شخصيته من واقع القصص المذكورة عنه.

بإيعاز من الشيطان

كان المجرب من وراء الخائن لأن يهوذا لم يكن سوى ألعوبة في يد الشيطان، كما تبين الإشارات بوضوح أن الشيطان كان يمتلكه. يؤكد يوحنا الدور الذي لعبه الشيطان في جريمة الخيانة. كم كان تأكيد يسوع واضحاً ومحدداً «أليس أني أنا أخترتكم الاثنى عشر وواحد منكم شيطان» (يو ٦: ٧٠). لم يكن يسكن يهوذا روح شرير، بل شيطان كما يوحي النص في اللغة اليونانية؟

لقد دخل الشيطان في يهوذا كالمحرض على ارتكاب هذا العمل الشرير، «قد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه» (يو ١٣: ٢). إذن فالشيطان هو الذي تقمص يهوذا كمصدر لعمل شيطاني «فبعد اللقمة دخله الشيطان» (يو ١٣: ٢٧).

يبدو أن اللقمة المعطاة ليهوذا كانت أكثر من دليل على الثقة والكرامة، لقد كانت آخر عمل قام به يسوع لإنقاذ يهوذا من ارتكاب جريمته النكراء. عندما أُكلت اللقمة وفشلت الكرامة التي منحتها له في تحقيق غرضها، لم يكن هناك شيء يُعمل سوى الإجبار. إن الشيطان، وليس يسوع، قد استحوذ على قلب يهوذا. وبالرغم من كل الامتيازات المتضمنة في كونه رسولاً، قامر يهوذا. بمصيره، وذهب إلى مكانه» فشل الشيطان في إخضاع المعلم لسيطرته، و لكنه نجح في السيطرة على رسوله الذي شرب كأس الهوان والحزن بكاملها. كان على يهوذا أن يشرب كأس المر حتى الثمالة.

حيث أن يسوع رغب أن يقضي ساعاته الأخيرة في صحبة رفاق مخلصين يثق فيهم، دون وجود عدو قاتل بينهم، فإنه لم ينتظر حتى يروق ليهوذا أن يترك الجماعة.

أكد يسوع سلطته على يهوذا، حتى وإن كان قد دنس امتيازاته وباع نفسه للشيطان، فأمره بترك الجماعة وإكمال فعلته القذرة. فشل يسوع في السيطرة على الفكرة الشاردة ليهوذا قبل أن يتحول شيطان الشك إلى شيطان الفعل، وقبل أن يتحول الاغتراب الفكري إلى قطيعة كاملة، جاء يهوذا إلى العشاء وهو مثقل بذنب دفين في أعماق وجدانه، وبرشوة في يده، ولابد أنه كان يشعر بأكبر قدر من عدم الارتياح بسبب عين ذاك الذي كان بمقدوره أن يرى كل ما كان يعمل بداخله.

لقد باع يهوذا الطموح النهم نفسه للشيطان، كما فعل فاوست حين باع نفسه إلى الشيطان في رواية الأديب الألماني الشهير جوته . وحيث أنه كان مقامراً، فقد عرَّض كل شيء للخطر وفقد كل شيء، ولم يتبق له سوى أن يكفر عن الدم بالدم. بلغ طموحه أبعاداً غير مسبوقة فسقط بتهور دون تردد وانفجر. ولكن على الرغم من أن شخصية الشيطان كانت وراء هذه الخيانة، لما فيه من شر دفين، إلا أنه لا يجب أن نضع عليه كل اللوم. فعندما أتى الشيطان إلى يسوع باقتراحات بعيدة تماماً عن الأهداف الإلهية، استطاع أن يقول له: «ابعد عني يا شيطان». ولكن يهوذا ترك الباب مفتوحاً أمام الشيطان، فعملت طبيعته الجشعة وطمعه المخزي، اللذان اتضحت معالمهما في سرقته لكيس نقود الرسل، على إغراء

الشيطان بأن يحكم قبضته على اللص.

من كان يعتقد أن سرقة عدد قليل من العملات الصغيرة في غفلة من الجميع سوف تفتح الباب على مصراعيه لتقمص الشيطان له، مما يؤدي لارتكاب أبشع جريمة وإزهاقه لروحه؟ فنحن لا يمكننا أبداً أن نحرص الحرص الكافي على تجنب ما يطلق عليه الخطايا الصغيرة، لأن الخطية لها قوة مخيفة على التكاثر.

فالفكر يصبح عملاً

والعمل يصبح عادة

والعادة تكسب الشخصية

والشخصية تشكل الأبدية

ولما كان الشيطان في عداوة مريرة مع المخلص ورسالته، فقد كان هو المحرك الأول لمحاولة يهوذا في الإسراع بموت يسوع. ولو كان عدو النفوس قد عرف كل ما كان سوف ينجم عن الموت القاسي ليسوع فوق الجلجثة، لكان أقل حماساً في الإسراع به نحو الصليب. فهو كالخروف المذبوح، فإنه سوف يقضي في النهاية على إبليس وأعماله، ويملك إلى الأبد. من المعزى أن نتذكر أن الخطط الشيطانية، غالباً ما تستخدم، كما في هذه الحالة لتحقيق أقدس الأغراض.

بتدبير من يهوذا

هناك العديد من الجوانب في هذه القصة المأساوية التي تثبت كيف أن يهوذا قد تصرف بلا قلب وبقسوة في تنفيذ فعلته القذرة. لا يمكن تفسير جريمته كنوع من الخطأ، ولا يمكن اعتبار يهوذا نفسه كشخص مخطيء. فالكتاب المقدس ينظر بالتأكيد إلى ما فعله على أنه سر الإثم الحقيقي، ويمثله كشخص هاديء دبَّر لجريمته التي ارتكبها. كما يعبر ألن بول Allen Poole عن ذلك فيقول: يبدو يهوذا من بعض الجوانب أنه أكثر أفراد جماعة الرسل بعداً في النظر، فلا شك أنه كان الأقدر على قراءة علامات الأزمنة من الجانب السيء. فقد فكر في الكيفية التي حاول بها اصطياد يسوع، وراقب أفعاله، ووزن حديثه، وقسَّى قلبه بفعل الكراهية له ثم تآمر على قتله. لدينا هنا مفتاح للإشارات المتكررة عن الصليب، حتى أدرك يهوذا أخيراً نهاية كل شيء كان قد دفعه ليقبل التلمذة ويواصل المسيرة مع المسيح.. إن الكشف عن كل شيء في العشاء الأخير حدد غرضه، وجعله يوطد العزم على تسليم سيده.

١- تدبير مناسب ومرتب

يسجل كل من متى ومرقس كيف كان يهوذا يترقب بمكر ليجد الفرصة المناسبة ليبيع المسيح: «كان يطلب فرصة ليسلمه» (مت ٢٦:١٦) «كان يطلب كيف يسلمه في فرصة موافقة» (مر ١٤:١١).

لم يتصرف يهوذا في لحظة غضب شديد أو جنون. كانت فعلته السوداء مخططة بهدوء وعن عمد. كان يتحين اللحظة المناسبة ليضمن مال الدم. كان يبحث عن الباب المؤدي لجهنم، وانتظر حتى يفتح، وعندما فتح، أخطأ يهوذا ضد النور والمحبة. يالشر الإنسان! ومازال البشر يتحينون الفرصة المناسبة للتخلص من المسيح، وخلاصه ودعواه.

٢- تدبير جبان

كثيراً ما وطأت قدما يهوذا الطريق المقدس المؤدي إلى جثسيماني، واستمع إلى تعليم يسوع المقدس وصلواته الحارة، لأن يوحنا يخبرنا أن يهوذا كان «يعرف الموضع» (يو ١٨:٢). وها هو الآن يستخدم معرفته بهدف تسليم معلمه إلى أعدائه. لقد سقط في أعمق أعماق الشر عندما استخدم البستان لتحقيق غرضه الدنيء. إن المؤثرات الشيطانية يمكن أن تجعل النفس تتناسى أقدس الاعتبارات، لقد وصل تدنيس المقدسات إلى أوجه عندما خان يهوذا معلمه في جثسيماني. وعلى الرغم أنه كان

يعرف هذا الموضع المقدس، إلا أنه كان دائماً على غير سجيته عندما يكون فيه.

وفي النهاية مضى «ليذهب إلى مكانه» (أع ١:٢٥)، ولكنه لم يكن جثسيماني.

يذكرنا كل من لوقا ويوحنا بجبن الخائن الذي كان يكن القليل من الاحترام لمقدسات الحياة.

«فواعدهم وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خلواً من جمع» (لو ٢٢:٦). «خرج للوقت وكان ليلاً» (يو ١٣:٣٠). نفذ يهوذا المهمة الشيطانية في غياب الجمع لأنه كان يخشى ما كان يمكن للجمهور، الذي يتكون من عامة الناس الذين كانوا يسمعون يسوع بفرح، أن يفعلوه به. كان يخاف أن يقطعه الناس إرباً إرباً إذا اكتشفوا فعلته السوداء. لقد جعله ضميره الخائف جباناً. ثم تأتي لمسة يوحنا حين يقول «وكان ليلاً» مما يوحي بنفس الإطار الفكري للخوف. لم تكن الظلمة فرصة فقط لوجود عدد قليل من الناس، ولكنها كانت تتيح له فرصة تغطية تحركاته.

يذكرنا لوقا بأن يهوذا نزل إلى مرتبة الدليل لفرقة العسكر الرومان الذين جاءوا للقبض على يسوع بتحريض من الفريسيين (أع ١:١٦). كم كان التحالف مفتضحاً هنا! فقد تشابكت أيدي القوة المادية والسلطة الكهنوتية، والتلميذ الخائن ضد الرب المسموح، كان يهوذا أسوأ خاطيء في تلك الجماعة، لأنه كان يخطيء ضد النور والمعرفة، فبعد أن نال خيراً على يد الرب، يرد على جميله الآن بالخيانة والغدر.

٣- تعبير جاحد

القبلة تعد دائماً تعبيراً عن الحب والصداقة، ورمزاً للإخلاص. ولكن قبلة يهوذا كانت دنسة، لأنها كانت علامة للقبض على يسوع. فقد شعر في أحيان كثيرة أنه يختلف عن بقية التلاميذ الذي يخضعون للتعاليم المجيدة للمسيح، ولكونه شديد الحساسية تجاه الإهانة ونقص المحبة لم يكن بمقدوره أن يصمد في وجه الانتقام. ولذلك كانت الضغينة بداخله مثل شعلة من جهنم احتدمت النيران في قلبه، واقتادته ليكون على رأس فريق يحمل المشاعل، فيتقدم نحو المعلم ليطبع قبلة محرقة بشفتين نجستين، «الذي أقبله هو هو» (مت ٢٦:٤٨).

«يهوذا..... دنا من يسوع ليقبله» (لو ٢٢:٤٧).

هناك أسطورة عن رجل أخذ ثعباناً ساماً في حضنه ليدفئه ولكنه كافأه بغرس أنيابه في جسده. عندما اقترب يهوذا من يسوع، وتهيأ ليقبله، دعا المسيح الخائن بحب، «يا صاحب» (مت ٢٦:٥٠). ولاشك أنه رد على القبلة بقبلة مماثلة، لأن الحب الإلهي لا ينتقم لنفسه أبداً.. ولكن السماء والجحيم التقيا عند العناق - وهناك قال ابن الإنسان كلمته الأخيرة لابن الهلاك. لقد اتحدت الأبديتان في تلك اللحظة الغريبة التي جرت فيها قبلة ينظر إليها التاريخ برعب وإشفاق.

إن قبلة من يوحنا وهو يتكيء على صدر يسوع تعد قبلة حلوة، ولكنها حين تصدر من رسول قد صار عدواً مهلكاً، فإن مثل هذه القبلة كدليل على الحب تعد شيئاً مقيتاً وبغيضاً. لم تكن القبلة ضرورية لإنجاح المؤامرة التي دبرها يهوذا، كان الجنود يحملون المشاعل، وكان يمكن إرشادهم بعلامة أخرى بينما كان يهوذا يحتفظ بمكانه في المؤخرة، ولكنه لم يفعل ذلك، ولأنه كان ما يزال يعتقد أن يسوع معلمه فقد تصرف كما لو كان صديقه الحميم ولكن القتل كان في قلبه وقبلته.

أراد يسوع أن يعفي يهوذا من أداء هذا الجانب من الخيانة، والذي يمثل القشة التي قصمت ظهر البعير، ألا وهو إظهار الرياء المتمثل في قبلة خائن. لم يكن هناك ما يدعو لأن يقوم يهوذا بالإشارة إلى يسوع، وقد حاول يسوع أن

يبطل رمز الخيانة بقوله للجنود الذين جاءوا إلى البستان.

«من تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصري. قال لهم يسوع: أنا هو» (يو ١٨:٤،٥).

ولكن يهوذا رفض الاستفادة من العرض - أو هل نقول إن الشيطان لم يدعه ينتهز هذه الفرصة؟ كان على يهوذا أن يشرب من الكأس حتى الثمالة، وأن يعفر وجهه في التراب، ولذا «تقدم إلى يسوع وقال السلام يا سيدي وقبله»!

بترحيب من قبل الكهنة

إن الكراهية التي كانت في صدور الكتبة والفريسيين من نحو المسيح جعلتهم شغوفين لسماع العرض المقدم من يهوذا لتسليم المسيح لهم: «ولما سمعوا (رؤساء الكهنة) فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة» (مر ١٤:١١). لقد أتاح الرسول الساقط الفرصة للشيطان لكي تكون له الكلمة العليا في حياته. وعندما باع يهوذا المسيح الذي كان الشيطان يكرهه، وجد وجوه الجحيم المبتسمة على أتم الاستعداد لدفع الثمن المتفق عليه. لابد أن أعداء المسيح الفرحين هؤلاء كان لديهم فكرة سيئة عن يهوذا. فعلى الرغم من كونهم مرائين، إلا أنه لابد أنهم كانوا يكنون احتقاراً في قلوبهم لتلميذ مرتد على استعداد لبيع سيده. إن الأعداء الظاهرين والمستترين والجهنميين يفرحون في اللحظة التي ننزل فيها من على جناح الهيكل ونصبح أقل تمسكاً بمسيحيتنا، إن قوى الجحيم كلها تسر عندما يكون الناس على استعداد لأن يبيعوا المسيح لأجل مسرات هذا العالم وممتلكاته. اخفض الراية، وساوم، واعرج بين الفرقتين، وسوف تجد أنصاف المتدينين على استعداد للترحيب بك «كزميل طيب».

٦- اكتمال الصفقة

وصلنا الآن إلى لب قصتنا المحزنة والدنيئة. إن تسليم يسوع والقبض عليه بث الرعب في قلوب التلاميذ الآخرين، فتركوه وهربوا (مت ٢٦:٥٦). اقتيد يسوع لمواجهة رئيس الكهنة والسنهدريم، حيث تحمل اتهاماً زائفاً، واحتمل العار والخزي. ولكن عند هذا الوقت كانت الصفقة قد كملت وكان المسيح الذي أسلم في أيدي أولئك الذين حاولوا قتله أكثر من مرة.

ثمن الشراء

إن كان حب المال هو الدافع للخيانة، لكان الثمن المدفوع قليلاً جداً، ربما كان هذا الثمن دفعة أولى من مبلغ أكبر متفق عليه كان سيُدفع مؤخراً. عندما احتج يهوذا على سكب كمية كبيرة من الطيب على رأس يسوع سأل: «لماذا لم يبع هذا الطيب بثلثمائة دينار ويعطي للفقراء؟». وحيث أن الدينار الروماني كان الأجر اليومي المعتاد للفلاح في ذلك الوقت، فإن ٣٠٠ دينار كانت تعادل أجر الفلاح لمدة ٣٠٠ يوم - وهي كمية تكفي لجعل لعاب يهوذا يسيل لأجلها. ومع ذلك فقد ساوم ليسلم ابن الله لأجل ثلاثين من الفضة، وهي أقل من نصف المبلغ المتمثل في الـ ٣٠٠ دينار. كل ما كان المسيح يساويه بالنسبة ليهوذا ثمن عبد عندما يقتله ثور (خر ٢١:٣٢). «وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني إسرائيل» (مت ٢٧:٩).

لابد أن ضآلة المبلغ المقدم من المال كانت إهانة ليهوذا، ولكنه أخذ المبلغ البائس دون أن ينبس ببنت شفة. لو أن شخصاً قال ليهوذا يوم اختياره رسولاً إنه يوما ما سوف يبيع المسيح الذي دعاه لأجل ثلاثين من الفضة، لا نفجر غاضباً بشدة لمثل هذا القول. ولكنه احتفظ بخطية الجشع في قلبه، وظلت تنمو حتى دفعته لارتكاب جريمة وحشية يعجز اللسان عن وصفها وقد جعلته محتقراً حتى يومنا هذا. لقد ولدت الشهوة خطية، وعندما اكتملت الخطية انتجت موتاً مريعاً، ياللهول الأفعال التي يرتكبها البشر لأجل المال!

يتحدث حزقيال عن تدنيس الله عند شعبه «لأجل حفنة شعير ولأجل فتات من الخبز» (حز ١٣:١٩).

ويصف عاموس الذين «باعوا البار بالفضة والبائس لأجل نعلين» (عا ٢:٦)

ومازال هناك الذين يبيعون الشرف والحق، ويقايضون نفوسهم بالمال ويضحون بالديانة وأي رجاء في السماء لأجل المكسب المادي. وكما كان مع يهوذا قديماً، فإن شهيتهم المفتوحة لاكتناز الذهب تجلب عليهم خسارة أبدية، لقد علم يسوع أن نفس الإنسان أثمن من كل ثروة عالمية، ومع ذلك فقد قدرت قيمة السيد بما يعادل ١٠٠٠ دولار. أما يوحنا الذي اكتشف كم كان ربه الذي لا مثيل له ثميناً لديه، فقد كان ثمنه يفوق اللآليء لم يحدث أبداً أن دفع مثل هذا الثمن الهزيل مقابل أنفس كنز في الوجود.

علينا أن نحترس من الإقلال من قيمة المسيح. فإذا اعتبرناه كنزنا الثمين لا يكون هناك مجال للخوف من بيعه وخيانته، أو مقايضته بكنز أقل. حولنا الكثيرون الذين يتخلون عنه وعن الضمير الصالح لأجل الحصول على قدر من المتعة، والاستمتاع بأصدقاء السوء، ولأجل خطيتهم المحبوبة، ولأجل حب الظهور ومديح الناس. إن فكرة أن واحداً من مختاريه الاثنى عشر قد باعه لأعدائه الألداء بثمن عبد قد اخترقت قلب يسوع وأدمته.. اضطرب (يسوع) بالروح وقال: «الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني» ليتنا نحذر من مبادلة المحبة بالخيانة. وطعن جنب المخلص من جديد!

المشترون عديمو الرحمة

شعر يهوذا بالندم، عندما رأى يسوع يسلم إلى بيلاطس البنطي، فحاول رد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، معترفاً بعد فوات الأوان أنه قد أخطأ إذ سلم دماً بريئاً. ولكنهم سخروا منه، هؤلاء القادة الدينيون الكارهون ليسوع لم يكن يهمهم مصيره، ولم يكن يؤرقهم ضمير يهوذا المتعب.

«ماذا علينا؟ أنت أبصر» (مت ٢٧:٤). إذا كان ذنب يهوذا عظيماً، فإن سخرية الذين عيروه كانت محملة بذنب أعظم، من يعلم؟ ربما لو كان يهوذا قد لقي عطفاً ومشورة من أولئك، الذين كان يجب عليهم أن يقدموهما بسبب مركزهم الديني، لكان قد خلص حتى في تلك اللحظة الأخيرة.

وكم كان منطقياً رد فعل أولئك الذين استغلوا يهوذا للإيقاع بيسوع بين أيديهم! فقد اعتبروا يهوذا مسئولاً عن الصفقة التي اتفقوا معه عليها سوياً. في أحيان كثيرة، عندما يبيع الناس المسيح لأجل طبخة عدس كعيسو، ثم يعربون عن ندمهم الشديد لذلك، فإنهم يعاملون باحتقار ولا مبالاة من قبل أصدقائهم الأشرار. أن التائب لا يجد أي عطف من قبل أولئك الذين يرغبون بشدة في التخلص من المسيح. ولسان حالهم يقول «عليك أن تترك لحالك لتتحمل كل نتائج خطيتك». إنهم يسخرون ويستهزئون من أولئك، الذين عندما يرون خطأ طرقهم أخيراً. وإن المرء ليتساءل عما كان يمكن أن يحدث لو أن يهوذا قد أتيحت له الفرصة للبوح بالآلام التي يكابدها ضميره المعذب أمام يسوع بدلاً من التصريح بذلك أمام الكهنة والشيوخ قساة القلوب.

٧- التوبة عن الصفقة

نأتي الآن لاستعراض العواقب الوخيمة الناتجة من الصفقة الرهيبة التي عقدها يهوذا مع أولئك القادة الدينيين، وعندما نفعل ذلك لا يسعنا إلا أن نعرف مقدار صحة هذه الكلمات التي تصف ماحدث ليهوذا الخائن «كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته، ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً» (يع ١:١٤،١٥).

ضمير معذب

مراراً وتكراراً نسمع صيحة القلوب التائبة «أخطأت» قد نوافق مبدئياً على العبارة العامة التي قالها بولس «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو ٣:٢٣)، ولكن كم عدد الذين يرفعون أياديهم إلى السماء ويقولون: «أخطأنا خطية عظيمة» (خر ٣٢:٣٠)؟ إن الملك شاول، الذي يعد من بعض النواحي يهوذا العهد القديم، وصاح بنفس متألمة: «قد أخطأت» (١صم ١٥:٣٠، ٢٦:٢١). وقد كانت هذه أيضاً صيحة أيوب (٧:٢٠، ٣٣:٢٧). يخبرنا متي أن يهوذا قد ندم وهي لم تمكن توبة نحو الله. عندما سمع يهوذا حكم الموت يصدر على يسوع، فإن آلام الندم أمرضت روحه، ولكن لم تكن هناك دموع كدموع بطرس الذي «بكى بكاء مراً» بسبب إنكاره للمعلم. وأخيراً، فإن ذكرى الصديق الذي سلمه أصبحت ناراً محرقة عندما استرجع ذكرى الصداقة المطعونة، وحاول بروح الندم التخفيف من وقع الجريمة على ضميره، بالاعتراف بالذنب ونبذ مكاسبه الدنسة ولكن دون جدوى!

جميع الذين يسلمون دماً بريئاً يكتشفون إن آجلاً أو عاجلاً مهما كبر حجم خطيتهم. قبل ارتكاب الخطية، يرون المكسب المادي، وبعد ارتكاب الخطية، يكون الشعور بالذنب وتأنيب الضمير. مسكين يهوذا، لقد خسر المسيح، وخسر زملاءه الرسل، وخسر المال الحرام، وأخيراً خسر نفسه والسماء. ليت جموع الرجال والنساء الذين أعمتهم الخطية يدركون أن الثمن الذي يدفعونه في الخطية فادح حقاً، فإذا لم يندموا على اليوم الذي استخفوا فيه بالمسيح وأهانوه، سوف يكون الندم اللانهائي من نصيبهم حيث الدود الذي لا يموت.

اسم ملوث

رأينا من قبل أنه حيثما يذكر يهوذا، نتذكره مسربلاً بهذه اللافتة «الذي أسلمه» ففعلته الشنعاء مرتبطة باسمه، حتى يربط الناس دائماً بين الاثنين معاً. إن الاسم يهوذا الإسخريوطي يستدعي دائماً لذاكراتنا الرجل الذي لوث يديه بدم أطهر إنسان سار فوق أديم هذه الأرض، وطالما كان العالم قائماً سوف يذكر اسم يهوذا لسبب واحد، أنه الذي باع ربه! وكل شيء بخلاف ذلك في طي النسيان.

ولكن أكثر أوصاف الخائن رعباً، ذلك الوصف الذي صدر من شفتي الشخص الذي سلم بواسطته. قال يسوع عن يهوذا إنه «ابن الهلاك» أي، الشخص الجدير بالهلاك (يو ١٧:١٢، انظر مت ٢٣:١٥، ٢تس ٢:٣). يذكرنا الاستاذ أ.ب بروس أن «يسوع استطاع أن يحتمل نقائص التلاميذ المخلصين، ولكن شخصية يهوذا التي تجمع ما بين التفكير السليم ورقة المشاعر وبين خداع القلب والإنحلال العملي سلوكياً، والتي تكتفي بتقديم الوعود دون الوفاء بتلك الوعود، وتستبدل بأداء العمل أداء صحيحاً بمجرد التفوه بكلمات بشأن أداء ذلك العمل – كانت منفرة وباعثة على الاشمئزاز في روحه.

وإشارة ربنا إلى يهوذا بأنه «ابن الهلاك» قد ترجمها مارتن لوثر بأنه حقاً يمثل «الرسول الضال». كان يسوع ساخطاً على يهوذا بسبب ما أسماه «القفر» والكلمة التي استخدمها يسوع وهي «الهلاك» هي نفس الكلمة المقابلة في اللغة اليونانية الكلمة «قفر». لقد سلب الطمع الخصال الجيدة في شخصيته بالتدريج، ولذلك فإن يهوذا مات مجدباً.

«اسم الاشرار ينخر» (أم ١٠:٧) ليتنا نسعى جاهدين لنترك وراءنا اسماً حلو الرائحة كالطيب المهراق! ذكر الصديق للبركة» (أم ١٠:٧).

نهاية مأساوية

يقول بعض الدارسين إن الأمل كان يراود يهوذا بأن

يسوع سوف يجري معجزة ويهرب من أيدي الذين قبضوا عليه، ولأن يسوع لم يفعل ذلك، فإنه مضى وخنق نفسه. ولكن يهوذا قتل نفسه لأنه علم أن حبه للمال قتل معلمه في النهاية، «خنق نفسه» (مت ٢٧:٥). و«انسكبت أحشاؤه كلها» (أع ١:١٨). هل يمكن أن يكون اعترافه بشأن تسليمه دماً بريئاً نابعاً من ناموس موسى، الذي كان اليهودي، يهوذا، ملماً إلماماً تاماً به؟ «ملعون من يأخذ رشوة لكي يقتل نفس دم بريء ويقول جميع الشعب آمين!» (تث ٢٧:٢٥).

كم كان انتحار يهوذا عملاً مأساوياً مصاحباً لصلب المسيح، فقد كان يهوذا سيئاً جداً ليرتكب مثل هذا الفعل الشائن، وكان حسناً لدرجة أنه لم يستطع أن يتحمل عبء ذنبه. وكما قال يسوع، كان خيراً له لو لم يولد. ولما تبرأ منه الكهنة الدينيون الماكرون الذين سخروا من مبادئه فيما يتعلق بأخذ أموالهم، ولمَّا كان ضحية عذاب الضمير الذي كان يوخزه بشدة مما سبب له جحيماً لا يطاق في كيانه. فإن قلبه الذي طالما كان قاسياً قد أصبح كسيراً في النهاية، فوضع نهاية لحياته. لقد سعى يهوذا نحو حتفه ومضى نحو أبدية يكللها العار والخزي بعد أن انتحر أدبياً وأزهق روحه. إن للخطية نهاية مريعة، فلابد أن وراء العديد من المآسي من حالات الانتحار وجرائم القتل قصصاً كثيرة عن مسيح قد رفضه الناس أو باعوه!

والأبيات التي كتبها وبلين Blane مناسبة في هذا المقام:

ثلاثون من الفضة

أعطوا ثلاثين من الفضة ثمناً لرب الحياة
ثلاثون من الفضة، ليست سوى ثمن عبد
ولكن هذه كانت القيمة الكهنوتية لقدوس الله
ووزنوها في الهيكل ثمناً لدمه الثمين
ثلاثون من الفضة في يد الإسخريوطي
ثلاثون من الفضة ومساعدة عصابة مسلحة
كشاة تساق إلى الذبح جاءوا بابن الله المتواضع
في نصف الليل من البستان، حيث كان عرقه كقطرات الدم
ثلاثون من الفضة تلهب عقل الخائن
ثلاثون من الفضة - أوه، إنها ربح جهنمي
وأخيراً صرخ بصوت خفيض
أخطأت وسلمت دماً بريئاً
عندما ألقى بها في الهيكل
واندفع يخنق نفسه كالمجنون
ثلاثون من الفضة في بيت الله
ثلاثون من الفضة، ولكنها كانت ثمن دم
وهكذا أعطوا ثمناً لمقبرة يدفن فيها الغرباء
ثمن المسيا، الذي وضع في قبر مستعار

أبدية مريعة

لو كان يهوذا يعتقد أنه بإنهاء حياته، ينهي عذاب الضمير، فإنه يكون قد ارتكب خطأ مريعاً. عندما تتآمر الخطية والمتاعب على إنسان، وييأس من الحياة، ويفكر في الانتحار كمهرب من الندم الداخلي، فهو مخدوع بشدة من الشيطان، لأنه إذا مات بلا مسيح، فسوف يذهب إلى أبدية يجتر فيها الندم العميق. يقول لوقا «الرسالة التي تعداها يهوذا ليذهب إلى مكانه» (أع ١:٢٥). يستخدم يوحنا هذه العبارة اللافتة للنظر: «ذاك.. خرج للوقت. وكان ليلاً» (١٣:٣٠). قال يسوع عن الخائن: «كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد» (مر ١٤:٢١). ونفس الاسم الذي ذكر عن ضد المسيح الآتي استخدمه يسوع عن يهوذا «ابن الهلاك» (٢تس ٢:٣). ألا تدل هذه الأوصاف الخطيرة على أنه بسبب فشل يهوذا في الصراخ في ضيقته لمخلص الخطأة، فإنه مات في خطيته ومضى إلى المكان الذي يتفق مع حياة

كان يمتلكها الشيطان؟

لقد وضع دانتي يهوذا في روايته الشهيرة «الكوميديا الإلهية» عن الجحيم في أسفل دائرة تضم الملعونين كالشريك الأوحد للشيطان نفسه لينال أقسى عقاب. خرج يهوذا وكان ليلاً. أليس الأمر هكذا دائماً؟ لأن جميع الذين يموتون بدون نور العالم في قلوبهم، هناك الظلام الدامس إلى الأبد، حتى لو بحثوا عن السلوان في الانتحار. قال أوريجانوس أحد آباء الكنيسة الأوائل، إنه ربما واتت يهوذا في وسط العذاب الذي كان يعانيه، فكرة مشوشة بأنه في عالم الموتى، خلف الحجاب، قد يرى ربه ويعترف له بذنبه الذي ارتكبه في حقه. ولكن يسوع ما كان قد قال عن يهوذا إنه كان خيراً له لو لم يولد، لو كان هناك غفران لجريمته النكراء في عالم آخر. إن ابن الهلاك هذا قد أصبح محروماً من المسيح إلى الأبد» إن حياة يهوذا، التي ظلت لما يقرب من ثلاث سنوات خاضعة لأسمي المؤثرات، مع أنها مضت إلى ليل أبدي كان يمكن أن تصل إلى قداسة يوحنا .

قال يسوع «أنا أمضي لأعد لكم مكاناً» (يو ١٤:١-٣). ياله من مكان مختلف عن المكان الذي ذهب إليه يهوذا! لأنه لجميع الذين يموتون في المسيح، يوجد أرض الفرح الكامل، ومكان للسلام الأبدي ولكن بالنسبة لجميع الذين يعيشون ويموتون بدون المخلص، فانهم يذهبون إلى مكانهم – مكان العذاب الأبدي. مع أن يسوع قال إنه كان خيراً ليهوذا لو لم ير نور النهار، إلا أن والديه اعتقدا أنه من الخير أن يأتيا به إلى العالم، وقد ابتهجا لمولده. ربما أن تهذيبهما المبكر لابنهما كان ناقصاً، ولم يتم كبح جماح ميله نحو حب المال. فلو كان عمل الخلاص قد بدأ في البيت مع التحكم في الميول الشريرة بحب الانضباط، فلربما كان يهوذا قد نجا من تلك الميتة التي اختارها لنفسه بالانتحار. على الآباء أن يتذكروا دائماً أن التدريب الروحي للأطفال يجب أن يبدأ في وقت مبكر وأن الانضباط الذي يهدف إلى الاتجاه إلى الله يجب أن يكون صارماً.

قبل أن نترك الرواية المأساوية ليهوذا، ما هي بعض الدروس التي يجب أن نتعلمها من شخصيته وجريمته؟ يتبادر إلى أذهاننا في الحال نصيحة رسول آخر أكمل سعيه بفرح «من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (١كو ١٠:١٢). ويمضي بولس عندئذ ليقول إنه مهما تعرضنا للتجارب، يوجد دائماً طريق للهروب – افتقده يهوذا بكيفية ما! علينا أن نحذر من التساهل واللامبالاة إزاء أفعال إبليس الماكرة والخطية، «لئلا يتقسى أحدكم بغرور الخطية».

علينا ألا نعبث حتى بالتفكير في الخطية، لأن الفكر ينتج عملاً، والعمل يخلق عادة، والعادة تكون الشخصية، والشخصية تحدد الأبدية. كان في إمكان يهوذا أن يصبح أفضل الاثنى عشر ويصبح اسمه منقوشاً على أحد أعمدة المدينة المقدسة، ولكنه بدلاً من أن يكون مثالاً رائعاً للخدمة المسيحية، أصبح اسمه أقسى إهانة يمكن أن يلصقها شخص بآخر – خائن!

بالإضافة إلى ذلك يمكننا أن نذكر أفكاراً أخرى نابعة من تاريخ حياة يهوذا. على سبيل المثال، فنحن لا يجب أن نندهش عندما يكون هناك إنسان شرير في الكنيسة، فقد كان هناك رجل سيىء وسط الاثنى عشر رسولاً، فعندما يتضح أن استاذاً في اللاهوت مراءٍ، فليس هذا دليلاً يقام ضد صحة المسيحية. والعيب الذي ظهر في يهوذا لم يترك وصمة عار على اسم يسوع ولم يثبت عدم ولاء بقية التلاميذ، كما أن النعجة السوداء لا تكون قطيعاً أسود اللون. كان يهوذا في الظاهر تلميذاً – وكان من الداخل شيطاناً. وهو يقدم لنا التحذير بأنه حتى امتياز القرب من المسيح لا يعني أن شخصياتنا مقدسة. لقد عاش ثلاث

سنوات في شركة حميمة مع المسيح، وسمع كلماته ورأى أفعاله، وعاش في جو المحبة، وتلقي التعليم دون تغيير. ولكنه بعد أن كُرِّم كرسول، أصبح مذنباً بارتكاب جريمة الخيانة البشعة، وأصبحت جثته ممددة على عتبة الكنيسة كإنذار وتحذير لنا.

من الممكن للأسف أن تحسب ضمن المسيحيين، وأن تذهب إلى الكنيسة وأن تتلو الصلوات، وأن تقرأ الكتاب المقدس، وأن يكون لك اسم أنك حي ولكنك ميت روحياً، وأن ترتمي في حضن المسيح ومع ذلك يكون قلبك مختوماً يحول دون دخول محبته. لقد سقط يهوذا لأنه اتبع المسيح بقلب منقسم «كان عقله منصباً على ما يمكن أن يحصل عليه وليس على ما ينبغي أن يعطيه. فابن الهلاك هنا لم يصل إلى المستوى الرفيع الذي وصل إليه بطرس صاحب العبارة الشهيرة «قد تركنا كل شيء وتبعناك» كانت مشكلته أنه كان يحمل العالم في شهادته، وكان يحكمه رئيس هذا العالم وليس معلمه الصالح. ومع أنه قد ارتقى لمرتبة الرسولية، إلا أنه كان قانعاً بمجرد الانتماء إليها، والرسالة التي أعلنها عندما اتبع المسيح لم يكن لها مكان في قلبه وحياته، كان يعلن الكثير، ولكنه لم يكن يمتلك شيئاً – ولا حتى الفضة التي باع بها نفسه.

سقط يهوذا من على جناح الامتياز الشاهق الارتفاع إلى الأعماق السحيقة ومع ذلك لم يكن وليد الظروف، فمن المرجح أنه هو الذي أوجدها. إن اقترابه من يسوع كان يجب أن يغير قلبه، ولكنه حول عدم الثقة إلى كراهية. كانت له نفس امتيازات يوحنا ولكن كانت لها تأثيرات عكسية. إن وسائط النعمة قد تكون بركة أو لعنة، فكما أنها يمكن أن تكون حافزاً روحياً فإنها قد تكون فخاً، أو سماً زعافاً، فالنعمة تجعل الجيد، أكثر جودة، والرديء، أكثر رداءة. ليس الخائن وحده هو الذي ضحى بالمثل العليا من أجل المباديء الوضيعة. فقد نتراجع في رعب من خيانة يهوذا، ومع ذلك نفعل مثله ولكن بأشكال مختلفة. علينا أن نواصل التقدم، ونحافظ على مركزنا في الحياة، ونساير المتقدمين والأفاضل فنحن لا نستطيع أن نكون بمعزل عن الآخرين. وانتهاج طريق العزلة ينتهي عادة بخيانة كل مقدسات الحياة.

درس آخر نستنبطه من القصة المحزنة ليهوذا وهو أن المحبة هي دائماً الاختبار الحقيقي للتلميذ، ومحك الإخلاص في المناداة بالرسالة. فبدون المحبة العميقة والتي تزداد عمقاً للمسيح، يكون كل شيء عبثاً (يو ٢١:١٥–١٧). إن الاختبار القلبي لقدرته على خلاصنا وتقديسنا يمكن وحده أن يساعدنا في الصراع الدائر بين مثلثي الشر والخير في العالم. عندما قال يسوع للاثنى عشر المجتمعين حول المائدة «إن واحداً منكم سيسلمني» لم يوجه إصبع الاتهام ليهوذا، مع أن العبارة كان هو المقصود بها. وحيث أن كل واحد من التلاميذ الآخرين، كان يعلم نقطة ضعفه، فقد انتابهم الخوف فابتدأ كل واحد منهم يقول «هل أنا هو يارب؟» لم يقل أي واحد من الأحد عشر: «المقصود بهذا الكلام هو يهوذا» كلا، فقد نظر كل واحد إلى الحفرة التي لا قرار لها في قلبه، شاعراً أنه ربما يكون هو الخائن الذي كان يسوع يفضح أمره. شعر كل واحد أنه ربما يكون متهماً بهذا الاحتمال «هل أنا هو يارب؟» يجب أن أتعامل مع هذا التحذير كما لو كان موجهاً لي، وأعرف فقط أن المحبة الإلهية وحدها يمكن أن تغير القلب النجيس إلى قلب جدير بسكنى الملك.

هناك تحذير آخر يجب أن نعيره الالتفات وهو أن التوبة قد تأتي بعد فوات الأوان. فعندما انتابت يهوذا حالة من الندم، عرف أنه لا يستطيع إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء، لقد تخطى نقطة الفداء. قد يصيح قائلاً: «أخطأت»

ولكن المسيح لم يعد قريباً منه ليقول «مغفورة لك خطاياك». وصل يهوذا إلى نقطة في تاريخ نفسه لم يعد فيها ربه وحبيبه قريباً منه حتى يتدخل. لقد حال يسوع على مدى سنوات بين يهوذا وبين خطيته المميتة، وقد كرمه المعلم، حتى وهو على عتبة خيانته، بأن حياه قائلاً: «يا صاحب». وتحمل لمس شفتيه الخادعتين. وإذا أحبه حتى إلى المنتهى، فقد سمح له بأن يمضي قدماً لأنه لم يكن حاكماً مستبداً يفرض أو يجبر يهوذا على التوبة.

كم هي مريعة تلك الفكرة بأنه في نهاية المطاف تترك بعض النفوس تماماً لترتكب الشر كما يحلو لها لدرجة أن الرحمة الإلهية تجد آذاناً صماء! ويمضي الشرير حيث يذهب إلى مكانه. ليس لأن الله لم يحبه، وليس لأنه لم يحذر دائماً ضد الخطر، ولكن بالرغم من كل المؤثرات المحيية والسامية الصادرة من السماء، «لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك». فالموت إذن، هو الاختبار الحقيقي للحياة، ويكتب كل خاطيء تاريخ حياته بنفسه في العبارة التي تقول «وذهب إلى مكانه». جميع الناس يفعلون ذلك، القديسون والخطاة على حد سواء. عزيز في عيني الرب موت أتقيائه، لأنهم يمضون لكي يكونوا معه في المكان الذي أعده لهم (يو ١٤:١-٣). ولكن تدنيس النفس يجب أن ينتهي بالهلاك. إن الفارق بين موت يسوع وموت يهوذا يمتد بطوال الأبدية. السماء أو جهنم، الفردوس أو الهلاك - الاختيار يبدأ من هنا.